شمالي لبنان

نقتطف عن رحلة الطبيب العالم الدكتور امين الجميّل الى تلك الانحاء الجميلة ما لا يضيق عنه نطاق هذه المجلة . قال :

بعين الطبيب وبأذنه فحصت هـذه البقعة الجميلة ، وبمداد الوطنية أسطر رسالتي . وكنت اود ان أُعطى موهبة الشعر ساعة من الزمن فقط ، لامثّلَ جمال لبنان للناظر اليه من الباخرة ، لان للشاعر وحده ان يشخّص لنا عظمة هذا الجبل الذي اقدامه في زرقة البحر ، ورأسه في زرقة السما ، جرودُه مغطاة بمنطقة ناصعة البياض من ثلوج الشتاء ، وسواحله تكسوها خضرة الليمون والبساتين . وبين ثلوج دائمة في الاعالي ، وربيع دائم في الساحل ، تلالٌ مشجرة ، ووديان مخصبة ، وقرى زاهرة ، واديارٌ عامرة . وفي كل مكانٍ منه شعبٌ نشيط عُرِف بسمو الذكاء ، كما اشتهر بكرم الاخلاق وشرف المبادى ، وصدق العقائد ، في سوريا كما في مصر واوربا واميركا

اي نوع من الجمال بخلت بهِ الطبيعة على لبنان العزيز ؟ وقد جعلت فيه انواع الحيوانات البرية والبحرية ، والنباتات والازهار من الأرز حتى الليمون والبلح ، والمناخات كلهـا من الحار الى البارد ، ومن الرطب الى الجاف ، والهواء النقي والميـاه العذبة والمناظر العجيبة ، فجرودُه بديعـة للاصطياف ، وسواحله عجيبة للاشتاء ، وبين هذه وتلك مسافة ساعتين فقط . . !

فما أكرم الطبيعة علينا وما ابخلنا عليها

وقد كانت الذاكرة تنتقل بنا الى الايام التاريخية ، ايام عزّ « جبُيل » ومتاجرة الفينيقيين ومرور ملوك الاشوريين واعمال الرومانيين أو الصليبيين الخ الخ عند ما كنا نمر امام النقط والاماكن التي فيها هذه الآثار العظيمة كنهر الكلب ونهر ابرهيم والمعاملتين والبلمند

. . . سلكنا طريق زغرتا ، فمررنا بجانب حدائق طرابلس الغناء ، ذات الدخل العظيم ، ثم ارتقينا اعلى المدينة ووصلنا الى لبنان . وكل هذه الاراضي ذات خصب عجيب لانها جمعت كل ما يلزم للنبات : تربة جيدة وحرارة قوية ومياه غزيرة . وهناك ترى من أهم واجمل ما يوجد من الزيتون

ولم نلبث ان وصلنا الى « زغرتا » القائمة على تلّ لطيف تحيط بها سهول ووديان ذات تربة كلها خصب وآخر ما يمتد اليه الطرف جبال قريبة مشجرة واعلاها يغطيه الثلج

وقد نشأ من الزغرتاويين رجالٌ عظام منهم البطريرك جرجس عميره واسطفان الدويهي وجبرائيل الصهيوني ويوسف بك كرم الشهير

ويمرّ بهذه البلدة نهر « رشعين » ومياهه تفيض الخيرات على بساتين زغرتا وحدائقها

وبالاختصار ان الطبيعة دللت كثيراً اهالي زغرتا ، وبعكس ما ينتجه الدلال ترى الزغرتاويين ابطالاً وابناء ابطال واباء ابطال : امس واليوم وغداً . . .

. . . اين واحسرتاه ! فرسان اللبنانيين ؟ اين شجاعة رجالنا اين حماستهم في الحروب وشهرتهم في الوغى . اين اقدامهم على العظائم ؟ اذا

أُعلنت حربٌ على المملكة ، اين اسود لبنان ؟ وان اراد عدوٌّ مهاجمة لبنان والاعتداء على امتيازه وحقوقهِ فمن هم حماته

ومن لا يذُدْ عن حوضهِ بسلاحه　　يهدَّم ومن لا يتقِ الشتمَ يُشتمِ

فلو قام « ابو سمرا » او « الشنتيري » من القبر فاين هم الابطال الذين كانوا يقتحمون معهم اهوال دفاع شريف . فانه لم يبقَ عندنا جماعة مدربة مستعدة الا في زغرتا وفي بعض البقع الدرزية

. . . ولا يتوهمنَّ السامع ان الشجاعة تنفي رقة الشعور ، ولطف الحاسات « فقلب الاب الحقيقي هو حقاً قلب اسد » وقد تحققت ذلك أيضاً في زغرتا ، فان هؤلاء الرجال والنساء الذين يقال عنهم « سواعد من حديد قلوب حديد رجال من حديد » هم احنّ الناس على الاولاد واكثرهم عطفاً على المرضى . ولم ارَ في البلاد ذكر الموتى مكرماً ومحبوباً اكثر منه في هذه البقعة حتى كدنا نقول انهم يكرمون الموتى الى درجة تقتل الاحياء . . .

الدكتور امين الجميل

قال المتنبي :

احبُّ حمصاً الى خُناصرةٍ　　وكلُّ نفسٍ تحبُّ محياها

حيث التقى خدُّها وتفاح لبـ　　ـنان وثغري على حميَّاها